توظيف البنية الزمنية السردية في رواية "وطن من زجاج "

the use of Narrative time structure in the novel of yesmina saleh " Watan Min Zoujaj "

طالب الدكتوراه/ شطة عمر
أ.د/ إبراهيم شعيب

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة عمّار ثليجي-الأغواط(الجزائر)
Omarchatta03@gmail.com
brahimletter@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2021/11/02 تاريخ النشر: 2021/11/04

- **ملخص:**

يعتبر الزمن السردي في الرواية من أهمّ العناصر التي تكون العملية السردية، فهو عنصر أساسي في الخطاب الروائي. لذا فلا وجود للرواية بدون زمن. والزمن في الرواية عادة ما يتخذ نظاما خاصا بالخطاب الروائي، و لا يسير على خط الزمن الذي يتصف بالتتابع والمنطق من البداية إلى النهاية. وإنّما هناك مجموعة من التقنيات التي يلجأ اليها الروائي في تشكيل بنيته الزمنية السردية يكسر بها ذلك التتابع الزمني . وهو نوعان: الزمن الحقيقي و الزمن المتخيل، إذ أنّ مدى واقعية الزمن وحقيقته لا أثر لها في تشكيل العمل الفني إلاّ أنّه لابدّ من الإشارة هنا إلى الزمن في القصة، الذي يعدّ زمنا متخيلا في ذهن الكاتب. فهذه الورقة البحثية تدرس العناصر المكونة للبناء الزمني في رواية "وطن من زجاج" لياسمينة صالح، وما تضفيه من قيمة فنيّة وجمالية على النّص الروائي، فالكاتبة تسرد الأحداث و هي تتأرجح بين الماضي والحاضر والمستقبل. مُوظّفة تقنيات الزمن من استرجاع و استباق، وكذلك بتوظيف نسق المدة بين تسريع وتبطيئ للسرد. لتُدير حركة الزمن مخترقة قواعد الخط الزمني بكل إتقان.

الكلمات المفتاحية: الزمن؛ السرد؛ الرواية؛ المفارقة الزمنية؛ المدة.

Abstract:

Narrative time in the novel is one of the most important elements that make up the narrative process, a key element of narrative discourse. So, there is no story without time.Time in the novel usually takes a special system, which is peculiar to the narrative discourse and does not follow the sequential and logical line of time from beginning to end. Consequently, there is a set of techniques which a novelists can use to create the structural from that breaks away from the sequential order of time. so we can distinguish between two types of time: real moment and imagined one, and we note that the reality of time has no effect except in the mind of writer

This research paper studies the constituent elements of temporal structure in the novel “Watan men Zoujaj” by Yesmina Saleh, in addition, its aesthetic and artistic value given to the narrative text where the writer lists the events of the novel as it oscillates between the past, present and future. In her narration of events, the author employs the techniques of time; retrieval, anticipation in her novel; The time-mode theme is also used between accelerating and slowing the narration to manage the movement of time, violating the rules and timeline system with great mastery.

key words: time; narrative; novel; chronological order; temporal Paradox.

مقدمة:

يعدّ الزمن من أهم العناصر المكونة للنص السردي الروائي، إذ اعتمدت عليه الروائية بشكل كبير باعتباره مكوّناً فنيا فاعلاً، ذلك أنّ " الأحداث تسير في زمن، الشخصيات تتحرك في زمن، الفعل يقع في زمن، الحرف يكتب ويقرأ في زمن، ولا نص دون زمن." [1] نجدها مرة تتقدّم ومرة تتراجع بكل مرونة وانسيابية. والغرض من التلاعب بالزمن هو إضفاء طابع الجمالية وتصوير الواقع في مختلف مجالاته، مع تنوع الكيفيات التي يوزع فيها الزمن داخل النص الروائي.. وبهذا نحاول أن نجيب على هذا السؤال التالي، هل استطاعت الروائية ياسمينة صالح في زعزعتها للتسلسل الخطي الزمني المعتاد، أن تصوّر لنا الحياة النفسية والاجتماعية للبطل السّارد وأن تعكس لنا عمق مأساة الوطن، دون أن تخلّ بالنسيج الجمالي الفنيّ في روايتها "وطن من زجاج" في خضم أحداث زمنية تتأرجح بين الماضي والحاضر ؟ وممّا لا شك فيه أنّ الروائية انطلقت من واقعها الذي أثر على ذاتها ، وعلى نفسيتها فأفضى بها إلى الربط بين تقنية الزمن وتقنية الحديث باسم الشخصيات بلغة إيحائية دلالية، تعكس الصراع بين" الأنا" و " الحياة" وبين" الأنا" و "الوطن".

1. الترتيب الزمني :L’ordre temporel

لا يلتزم الروائيون عادة بالترتيب الزمني في سردهم للأحداث، فهم يخالفون ذلك بالتقديم والتأخير وفق اختيارات الروائي و لمسته الفنيّة الجمالية.. إذ يتعلق الأمر" بمقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة ".[2]

وبالعودة إلى رواية " وطن من زجاج " نلاحظ أنّ الأحداث الرئيسية التي شكّلت متن القصة تبدأ من اغتيال ضابط الشرطة "الرشيد" و مراسيم دفنه بالمقبرة وحكايات" عمي العربي" عن مشاركته في الثورة الجزائرية، إلى اللحظة التي انتهت بتمنيات السّارد ورجوع الأمل لديه في آخر صفحة الرواية، أمّا الأحداث التي ذكرت خارج هذا الإطار الزمني فهي عبارة عن استرجاعات ترتدّ إلى

الماضي، كحكايات "عمي العربي" عن مشاركته في الثورة الجزائرية، أو استباقات تقفز إلى المستقبل.

ويرى تزفتان تودوروف (Tzvetan Todorov) أنّ زماني القصة والخطاب في العمل السردي يختلفان بعضهما عن البعض "فزمن الخطاب (..) زمن خطي، في حين أن زمن القصة هو زمن متعدد الأبعاد. ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد (..) غير أنّ ما يحصل في أغلب الأحيان هو أن المؤلف لا يحاول الرجوع إلى هذا التتالي الطبيعي، لكونه يستخدم التحريف الزماني لأغراض جمالية ".[3]

لذلك نجد القصّة قد استغرقت ثلاثين سنة على افتراض حدوثها الفعلي الحقيقي، بداية من طفولة السّارد إلى وصوله للجامعة وتخصصه في ميدان الصحافة و معايشته للواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للجزائر في فترة التسعينيات، ولكنّ السارد لم يذكر كلّ أحداث هذه المدة جملة واحدة، ولم يكن ترتيبه للأحداث ترتيبًا منطقيًّا، بأن يرتبها كما لو كانت حقيقية واقعية، حيث يقدّم الحدث الأول زمنيًّا ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه ... و هكذا، بل نجد السارد يكسّر نظام القصة الأصلي تقديمًا وتأخيراً وحذفًا واختصارًا وبطؤا وسرعة...، ومنه نستنتج أنّ أحداث القصة لا يمكن أن تتطابق مع أحداث الرواية، إذ لا يمكن لرواية أن ترصد جميع الحركات والسكنات التي تتعلق بالشخصيات أو الأحداث.

إنّ مفهوم المفارقة الزمنية السردية إنّما ينشأ من المفارقة التي تحدث بين زمن القصة وزمن الخطاب، أي عدم تطابق زمن القصة مع زمن الخطاب، و " لو افترضنا أنّ قصة ما تحتوي على مراحل حدثية متتابعة منطقيًّا على الشكل التالي:[4]

أ ـــــــ ب ـــــــ ج ـــــــ د.

فسرد هذه الأحداث في رواية ما، يمكن أن تتخذ مثلا الشكل التالي:

ج ـــــــ د ـــــــ ب ـــــــ أ.

ج: اغتيال الشرطي "الرشيد" و دفنه.

د: حكايات "عمي العربي" و الرجوع إلى ماضي طفولته و تاريخه الثوري.

ب: طفولة السارد و علاقته بجده وعمّته و بأسرة المعلّم.

أ: المدينة والجامعة والعمل بالصحافة وعودة السارد إلى المقهى بعد اغتيال "الرشيد" بثلاث سنوات.

فالملاحظ أنّ (ج) قد تقدم في الترتيب على (د) وأن كلاً من (ج) و (د) قد تقدم على (أ)، وفي المقابل تأخّر كلّ من (ب) و (أ) عن مرتبته.

و إنّ أوّل ما يصادفنا في الرواية هو أنّ السّارد لم يبدأ القصّة من بدايتها، كما أنّه لم يحافظ على ترتيب أحداث القصّة المنطقي، بل رأيناه يتصرّف في ترتيبها تقديمًا وتأخيرًا، ولكي نعرف كيف تصرّف السّارد في ترتيب الأحداث لا بدّ أن نعيد القصة إلى ترتيبها المنطقي ثمّ نقارنها بما ورد في الرواية.

فالقصة تبدأ بإعلان مقتل ضابط الشرطة "الرشيد" (قال عنه زميله: لقد مات في اشتباكات حين كان يطارد جماعة مسلحة... !) (أجل يا صديقي. مات الرشيد دفناه أمس مع زميلين له...). [5]

وعلى المقهى، في جوّ من الصمت والحزن، يجلس السّارد مع "عمي العربي" وهو أحد المشاركين في الثورة الجزائرية (عمي العربي الذي أجلس قبالته وأتظاهر بالصمت مثله ليتحرش بصمتي..). [6] وهو يحكي عن تاريخه الثوري وعن حياته بعد الاستقلال، و من أحداث و حكايات عمي العربي، يعود بنا السّارد إلى الحاضر بالحديث عن اغتيال "الرشيد" شهيد الواجب الوطني (الرشيد ضحية أفكار خاطئة، ضحية واقع خاطئ. ضحية وضع خاطئ! مع ذلك مات الرشيد دفاعا عن واجبه.!). [7]

واستطاعت الروائية بأسلوبها المتميّز أن تجرّنا إلى طفولة السّارد، بترك المساحة الروائية له، بحكي مرحلة الصبا التي مرّ بها في قريته"جنان الحاج عبد الله"، (لعلي أفكر في تفاصيل البداية التي ظلت تطاردني كما ظلت تربطني إلى قناعاتي القديمة بأنّي لا أمثل شيئا في النهاية! تشدّني تلك البداية من يدي، بحميمية ذلك العام الصيفي الحار من أعوام 1972..أجل أتذكر أيامها و أنا بعد في السادسة من العمر...). [8]

ومن طفل صغير يعتقد في النّحس، إلى شاب نجح في شهادة البكالوريا والتحاقه بالجامعة، كلية العلوم السياسية بالعاصمة –الجزائر- (كنت وقتها أسجّل في سنتي الجامعية الأولى بكلية العلوم السياسية دونما حماس لشيء). [9] وهو في سن العشرين، بما أنّه كان (في التاسعة عشرة من العمر، في سنتي الثانوية الأخيرة، أحضر لامتحان البكالوريا ...). [10]

ولمّا التحق بالجامعة في العاصمة، انتابه شعور بالملل والسآمة، لأنّها بدت له في سنة 1986م. كـ(قرية كبيرة وموحشة...). [11]

و رغم ذلك واصل دراسته و تخرّج و وجد وظيفة في جريدة مستقلة جديدة وكلّه يأس (حيث تخرجت من الجامعة وجدتني أتوظّف في جريدة يومية كصحفي بائس!). [12] وفي ذلك الوقت ظهرت صحف كثيرة مستقلة، وهذا طبعا بعد الأحداث السياسية التي جرت في 05 أكتوبر 1988م. (تظهر في أواخر الثمانينات..صحف بدأت تتناول الوطن بأسلوب مغاير عن الصحافة "الواحدة")[13]. ومن المفارقات أنّ يكون رئيس الجريدة التي يعمل فيها السّارد هو صديق طفولته"النذير"... ، ثمّ ما يلبث السّارد إلى تذكر "الرشيد" (كلّما اعتقدت أنني نجحت في النسيان يحضرني وجه الرشيد ليسألني: من أنت حقا يا صاحبي ؟ من أنا حقا يا الرشيد؟ وكم من الأعوام عشت لأبدو هرما من

الداخل إلى هذا الحد؟ عشت أبحث عني في تفاصيل مدينة اكتشفت أنّها لا تعنيني تماما. ثلاثون عاما من الإحباط والفرح الكاذب والانكسار اليومي قبالة تاريخ لا يقول الحقيقة. ففي الثلاثين من العمر يصير العمر أشبه بكذبة أبريل).[14]

من الواضح أنّ الروائية "ياسمينة صالح" أرادت أن تضعنا ضمنيا في حقبة زمنية معينة متمثلة في 1996م، وتتزامن مع عمر البطل (30 سنة) وهي الفترة التي تمّ فيها اغتيال الشرطي "الرشيد" ،(لم يكن "الرشيد" قد تجاوز الثلاثين حين قتلوه).[15]كما كثرت في فترة التسعينات الاغتيالات والمجازر كالمجزرة التي وقعت بإحدى المناطق الجزائرية و تنقل إليها السّارد للقيام بتغطية صحفية لإعادة افتتاح مدرسة، (أتذكر يوم ذهبنا إلى إحدى المدارس في منطقة تعرض سكانها إلى مجزرة لم ينج منها إلّا القليل..) [16] و تذكّر مجزرة أخرى في قرية بضواحي مدينة "المدية"،(كما أتذكر أيضا يوم ذهبنا إلى قرية في ضواحي مدينة "المدية" هاجمها المسلحون وقتلوا ثلاثين شخصا من أفرادها).[17] وتذكّر الشيخ الذي (جاء من مدينة أخرى هاربا من الإرهابيين).[18]

استطاعت الروائية أن تعيد القارئ إلى فترة زمنية تاريخية عند زيارة الرئيس الفرنسي" جاك شيراك" للجزائر و يقول للجزائريين (بعد أكثر من ثلاثين سنة من الاستقلال عبارة قالها ديغول لآبائهم: "!je vous ai compris" لقد فهمتكم!)[19].زيارته كانت في سنة 2001 بعد فيضانات باب الواد، و هي نفس العبارة التي قالها " شارل ديغول" في 04 جوان 1958 بالجزائر.

3. الاسترجاع والاستباق في الرواية: Analepsie et Prolepse

إنّ من المفارقات الزمنية أن يتحوّل السّارد عن حاضر الحكاية إلى الزمن الذي قبله أو الزمن الذي بعده، فالسّارد ليس ملزمًا في روايته بالاقتصار على الزمن الحاضر فقط، أو – بالأحرى – بالأحداث التي تقع في إطار هذا الزمن، بل قد يعود إلى زمن سابق لهذا الزمن الحاضر، أو إلى أحداث وقعت قبل تاريخ هذا الزمن، وقد يسابق السارد الزمن الحاضر فيسبقه مستشرفًا ما يمكن أن يحدث في المستقبل، متجاوزًا حدود الزمن الحاضر الذي تحدث فيه أحداث القصة المسرودة، إلى أحداث متوقعة لم تحدث بعد، وهذا ما يسمّى بالمفارقات الزمنيّة أو المفارقات السرديّة (Anachronies narratives).

فالمدى والاتّساع في المفارقة الزمنية يعني أنّ :"كلّ مفارقة سردية يكون لها مدًى (Portée) واتساع (Amplitude)، فمدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة"[20]، أمّا الاتساع فهو المدة التي تغطيها المفارقة نفسها[21].

3. 1. الاسترجاع (Analepse):

الاسترجاع " هو الرجوع بالسّرد إلى الزمن الماضي، أو هو تحويل اتجاه الزمن من الآني أو الحاضر إلى الماضي من خلال استعادة الذكريات الماضية لأجل ربط الحدث الآني بما جرى في الماضي"[22].

ولقد استخدم السّارد في رواية "وطن من زجاج" هذه التقنية في مواضع عديدة من الرواية، حيث نجده يكثر من الفعل المضارع "أتذكر" فهو في حالة استرجاع للذكريات فرضتها عليه أحداث القصة، حتى يتخيل إلينا في كثير من الأحيان أنّ الرواية عبارة عن سيرة ذاتية، حيث تكثر فيها الاسترجاعات أو الارتداد إلى الماضي، إذ أنّ لها دورًا أساسيًّا في تكوين رواية السيرة الذاتية، لأنّ السّارد في هذه الرواية يتحدث عن نفسه وعن حياته هو، فلابدّ أن تزدحم عليه الذكريات المؤلمة و المفرحة وهو يسرد الأحداث علينا.

ويرى (مندولا) " أنّ الماضي بصفائه لا يمكن على وجه العموم استرجاعه، لأنّه تعدّل بالتجربة الواقعية بين الحدث وزمن التذكر، وتعرض لكثير من التغيير بفعل مروره من خلال بوتقة العقل. غير أنّ هناك أحداثًا لم يلاحظها الذهن في لحظة حدوثها فانسلّت إلى اللاوعي غير متأثرة بكيمياء التفكير، وعندما يسترجعها من غياهب النسيان تداعٍ عابرٌ في مناسبات نادرة، فإنّها تأتي إلى السطح بشكلها الأصلي وتصبح حرة من الـزمن "[23].

3. 2. أنواع الاسترجاع:

لقد حاول النّقاد استقصاء جميع أشكال الاسترجاع في الرواية، فتوصلوا إلى عدة أنواع له، وعلى رأس هؤلاء النّقاد "جيرار جنيت" حيث ذكر للاسترجاع أنواعًا متعددة باعتبارات متعددة، وسنذكر فيما يأتي أنواع الاسترجاع التي توصّل إليها الباحثون:

3. 2. 1. استرجاع خارجي: Analepse externe

الاسترجاع الخارجي "هو الذي يعود إلى حدث قبل بداية أحداث الرواية، فيكون بذلك خارجًا عن الأحداث الرئيسة للرواية، ومنه فهو خارجٌ عن الإطار الزمني للرواية"[24]. ليسير هذا النوع وفق خط زمني خاص به لا علاقة له بسير الأحداث، كما أنّها تقف إلى جانب الأحداث والشخصيات لتزيد في توضيح الأخبار الأساسية في القصة، وإعطاء معلومات إضافية تمكن القارئ من فهم هذه الأخبار.[25]

لقد استعاد السّارد ذكريات طفولته التي عاشها في قريته الصغيرة، بتذكر جدّه " الحاج عبد الله" و"عمّته" و"معلّمه" و كل الأحداث بتفاصيلها، وبحلوها ومُرّها، وهو استرجاع خارجي يعود إلى ما قبل بداية الرواية، والتي بدأت – كما أسلفنا – من قتل ضابط الشرطة "الرشيد"، فنجد السارد يطرح سؤالا على نفسه: - **(من أنا؟)** لعلّي أفكر في تفاصيل البداية التي ظلت تطاردني كما

ظلت تربطني إلى قناعاتي القديمة بأنّي لا أمثل شيئا في النهاية! تشدّني تلك البداية من يدي، بحميمية ذلك العام الصيفي الحار من عام 1972. أجل أتذكر أيامها وأنا بعد في السادسة من العمر، حين كان يجرني جدي من يدي ويصطحبني معه إلى نزهاته الغامضة في أطراف القرية..). [26]

كما قد لا يكون الاسترجاع متعلقًا بالراوي، وإنّما بشخصية من شخصيات الرواية، ومثال ذلك ما حكاه عن شخصية "العمي العربي": بكل تفاصيلها منذ أن كان صغيرا إلى أن صار مقعدا عاجزا لا يفارق مقهى المكان وهذا الاسترجاع من بداية الصفحة الثالثة عشر إلى نهاية الصفحة الثالثة والعشرين: (الحكاية التي بدأت معه في الرابع من شهر أكتوبر الجزائري من عام 1944 أيام أشعلت المظاهرات يومها شيئا في قلب والده الذي لم يكن يملك إلاّ دكانة صغيرة ليمارس مهنته التي تعلّمها عن أبيه وعن جده: "الإسكافية"... كان" العربي" وقتها في الخامسة من العمر ولهذا لا يذكر سوى ملامح والده الجادة، وصوت المطرقة التي كانت تنهال على المسامير الصغيرة.. ومن له وطن لا يمشي حافيا !)[27]

3. 2. 2. استرجاع داخلي:Analepse interne

الاسترجاع الداخلي هو الذي " يعود إلى حدث داخل أحداث الرواية، بمعنى أنّه يكون جزءًا من الرواية فيعود إلى حدث بعد بداية الرواية وليس قبلها، ولذلك سمي داخليًّا لأنه يكون داخل الإطار الزمني للرواية لا خارجه"[28].

وبالرجوع إلى رواية "وطن من زجاج" نلاحظ أنّ الراوي قد أكثر من استخدام هذه التقنية كلما عرضت له مناسبة في ذلك، وسنذكر استرجاع قصته مع "الرشيد" لمّا كانا يلتقيان في مقهى المكان (لن يجلس الرشيد قبالتي ولن يلح عليّ نخوته الجزائرية ليدفع قيمة ما نشربه أنا وهو! الرشيد الذي سألني ذات مرة كمن يريد الوصول إلى سر خطير: ماذا تكتب؟ و تفاجأت جدا يومها، تحولت الدهشة إلى ارتباك لم يخفَ عليه، ثم سرعان ما انتابتني حالة من الخجل قبالة عينيه، خجل حقيقي وصادق، يومها تساءلت بيني وبين نفسي: ماذا أكتب فعلا؟)[29]

(لم يكن الرشيد قد تجاوز الثلاثين حين قتلوه، كان يقنع نفسه أنّه سعيد لمجرد أنه يقوم بواجبه، بمجرد أنّه في المساء يلتقي بأهله ويلتقي بأصدقائه في مقهى الحي متسللا كسارق، هو الذي في العام الأخير لم يعد يرتدي بذلته الرسمية في الأماكن العامة.تحول إلى شخص لا رتبة لديه، مجرد شخص ينزل إلى عمله مسالما ويعود آخر الليل إلى أمه وحبيبته كان يلتقي بها في صالة الشاي ليحكي لها عن أشياء لم يكن يقولها لغيرها.كان الحب لعنة أخرى طاردته حتى وهو يتحوّل من عاشق إلى مشروع ضحية. . .). [30]

وتعود الذاكرة به إلى المجازر التي تمّ ارتكابها (أتذكّر يوم ذهبنا إلى إحدى المدارس في منطقة تعرض سكانها إلى مجزرة لم ينج منها إلاّ القليل، ولكي تثبت البلدية أنّ لديها"رجال واقفون" قررت

إعادة فتح المدرسة واستدعت إلى هذه التظاهرة العديد من الشخصيات لم يأت منها أحد خوفا من الكمائن المنصوبة وسط طريق من قبل الإرهابيين. لكن الذين جاءوا رأوا مثلي مدرسة واقفة بالكاد على عماد منخور محاطة بالكثير من الكتابات الجدارية التي نسي المنظمون مسحها. كتابات بعضها خربشات سريعة ومرتبكة والبعض الآخر مكتوبة باللون الأحمر تهديدا للسكان بالقتل والإبادة). [31]

- (كما أذكر أيضا يوم ذهبنا إلى قرية في ضواحي مدينة "المدية" هاجمها المسلحون وقتلوا ثلاثين شخصا من أفرادها). [32]

ومن أمثلة الاسترجاع في الرواية لمّا سأل السارد و هو بمقر الجريدة "مدى الجزائر" عن صورة وجدها في البوم صور الفجيعة (... كنت أتصفح مجموعة الصور التي جمعناها طوال سنوات القتل العمدي والجريمة السياسية وإذ بي أعثر عليها فجأة. صورة امرأة منهارة تصرخ. كانت الصورة قابلة لأنْ تكون عادية لولا تلك الملامح التي شدتني إليها...). [33]

هذا السؤال عن صورة المرأة جرّه إلى الحديث عن شخصية المصوّر "كريمو" ومن ثمة استرجاع جانب كبير من حياة هذا المصوّر الصحفي (كان كريمو في الخامسة من العمر حين قررت أمّه أن تتركه للملجأ بعد أن قررت الزواج ثانية. لم يكن كريمو شرعياً، كان نتيجة علاقة"عولماتية" بين رجل وامرأة كلاهما فقير. كان شبهة مسبوقة بالكلام، ولهذا جاء كلعنة تطارد من ارتكبها طول العمر. .في الملجأ اكتشف كريمو الوجه الآخر من الحياة... وسافر إلى فرنسا ليتعلم فن التصوير. . كان كريمو أشقر ووسيما إلى حدٍّ ما، ومن النوع الذي يلفت الانتباه بطريقته في النظر إليك. وكان متميزا في حنقه المكشوف ضد كل شيء يعتبره لقيطا أيضا). [34] نجد السّارد يواصل استرجاعه بالحديث عن صديقه وعن أمنياته وطموحه في الحياة و كيف أنه أراد أن يثبت ذاته من خلال مهنته كمصوّر فقال عنه: (عاد معتقدا أنّ شهرته كمصوّر بارع ستحميه من لعنة اليّتم التي طاردته من قبل وحوّلته إلى رجل عاجز عن العيش و الحلم في بلد الآخرين. حتى حين أحبّ شعر أنّ الحب سيحمي ما تبقى من كرامته المجروحة. الحب الذي اعتقده مناهضا للضغينة والحواجز الاجتماعية والاسمية. .لكنّه أخطأ. .عندما قرّر التقدم لفتاته رفضه أهلها وهدده أخوها بالقتل قائلا له: لا نزوج ابنتنا لابن حرام. .! أحس أنّ الإهانة وصلت إلى العظم.ولسبب كبير شعر بالضغينة المزدوجة. .أن يتعرض كريمو للرفض لم يكن صدمة فقط، بل كان انكسارا رهيبا بالنسبة إليه، وبالنسبة لمشاعره نحو المرأة الوحيدة التي أحبها....). [35]

كلّ هذا الاسترجاع لشخصية المصوّر "كريمو" الذي أخذ حيزا من الرواية بدأ من الصفحة (127 إلى 134) جاء لبيان مدى المعاناة وتعبيرا عن الحالة النفسية و الانكسار واليتم والخيبات والعذابات التي ألمت بـ"كريمو" ويختمه السّارد بقوله (ذاك هو كريمو الذي جاءني يومها إلى المكتب.

يومها تركت النذير يذهب لزيارة أمّه دون أن أرافقه لأنّ مجيء كريمو جعلني أبقى حيّا في الوقت الذي أصاب الرصاص النذير!)[36]

والأمثلة السابقة التي ذكرناها في الاسترجاع (الداخلي – الخارجي) كلّها من هذا النوع، أي من "الاسترجاع الجزئي" الذي هو أن يسترجع الراوي أحداثًا ماضية، ثم يعود إلى النقطة التي توقف عندها قبل الاسترجاع ليستأنف السرد من جديد، وهذا النّوع من الاسترجاع هو الأكثر والشائع في الأعمال الروائية، لأنّ الراوي فيها يقطع دائمًا استرجاعه، ويعود إلى حيث توقف السرد وبدأ الاسترجاع، ليستأنف الحكي من حيث انتهى الاسترجاع، أو ليواصل عملية الحكي وإن لم يعد إلى النقطة التي توقف عندها قبل الاسترجاع.

والأصل في هذا النوع من الاسترجاع أنّه ومضات لأحداث من الذاكرة، تثيرها مواقف لها ارتباط بتلك الأحداث، حيث يؤتى بها لغرض التعليل أو التفسير أو التوضيح أو ملء الفراغ ... أو غيرها من الأغراض.

إنّ تقنية الاسترجاع لا تسهم في تفسير المواقف الراهنة وحسب، بل تسهم أيضا في التعرف على الجوانب الخفية والمجهولة التي تتعلق بحياة الشخصية، فالمتلقي يتعرّف على شخصية السّارد من خلال مراحل حياته انطلاقا من الطفولة إلى شبابه، فالكاتبة "ياسمينة صالح" جعلت من شخصيتها دائمة اليّتم والانكسار والانهيار والاحساس بالاغتراب النفسي واللاأمل في حب عاشه من طرف واحد بين أحضان الإرهاب، و كذلك بشخصية عمي العربي التي تمثل جيل الثورة، و شخصية المعلّم رمز التعليم والثقافة و الرافض للاستغلال و للظلم الاجتماعي والذي كانت نهايته حمّالا بالميناء حتى مات مريضا. وشخصية الجدّ الحاج عبد الله الإقطاعي وشخصية كريمو المصوّر ،الذي شعر بالإهانة والانكسار الرهيب، لأنه لم يكن طفلا شرعيا، كأنّه يعاقب على جريمة لم يكن طرفا فيها ولا جانيا.

لذا فإنّ معرفة كثير من خصائص الشخصية وجوانبها – على اختلافها – التي تتعلق بحياتها وتكوينها النفسي، تكون بواسطة تقنية الاسترجاع . ذلك"أنّ عملية التذكر هذه ليست إعادة بناء آلي أو استعادة مختصرة للماضي كما كان، وإنما هي تفسير للأحداث مشحون بالعاطفة، ويتغيّر ويتحول تبعًا لنمو الذات المفسرة في الزمن وتغيّرها به".[37]

فهذه نماذج من الاسترجاع التي وردت في الرواية، وقد رأينا كيف كان الراوي يهيّئ لها مقدّماتٍ وأسبابًا تتناسب مع ورودها في تلك المواطن التي وردت فيها.

3. 3. الاستباق (Prolepse):

يظهر الاستباق "عندما يعْلَن مسبقا عمّا سيحدث"[38] وغالبا ما يستخدم الرّاوي فيه الصيغ الدالة على المستقبل لكونه يسرد أحداثا لم تقع بعد.

والملاحَظ أنّ الاستباقات المستخدمة في رواية " وطن من زجاج" قليلة إذا ما قُورنت بالاسترجاعات، ولعل مردّ ذلك إلى أنّ الاسترجاع يفيد النص الروائي أكثر مما يفيده الاستباق، فالاسترجاع يؤدّي إلى ربط حاضر الرواية بماضيها، أمّا الاستباق فهو يُفقد الرواية شيئاً من عنصر التشويق .

وحسب جينيت فإنّ "الحكاية "بضمير المتكلّم" أحسن ملاءمة للاستباق من أي حكاية أُخرى، وذلك بسبب طابعها الاستعادي المصرّح به بالذات، والذي يرخِّص للسارد في تلميحات إلى المستقبل، ولا سيما إلى وضعه الراهن، لأنّ هذه التلميحات تشكل جزءاً من دوره نوعاً ما "[39].

و الاستباق في الرواية هو مصير الوطن ومستقبله في ظل الظروف التي عاشتها الجزائر في فترة التسعينيات و لقد بدت لي الكاتبة "ياسمينة صالح" متألمة وشديدة الانكسار لما يحدث لوطنها إلى حدّ وصف الكون والمدينة والأشياء بالسوداوية ولولا الحب الذي رأى النور في قلب السارد، لما انتصر على سوداويته حين قال:(لم يعد ممكنا ألّا أكون استثنائيا من جديد، وألّا أكتب افتتاحيتي هذا المساء لأجل أن ينتصر الحب على سوداوية الكون والمدينة والأشياء. لأجل أن أنتصر بالحب على القتلة. على الذين يتربصون بي أيضا دون أن يعرفوا أنني أبقى لأجلك ولأجل أن أعيش في وطن وجدته فيك!)[40].

هذا المشهد الختامي لرواية "وطن من زجاج" يعبر على عموم الاستباق، وسنحاول ذكر أهمّ ما ورد من أنواع الاستباق على النحو التالي:

3. 3. 1. الاستباق الإعلاني:

هو الإعلان صراحة عمّا سيشهده السّرد من أحداث لاحقة. وظيفته هي "خلق حالة انتظار في ذهن القارئ"[41]. هذا الانتظار قد يقصر وقد يطول. فمن الاستباقات الإعلانية ذات المدى القصير تلك التي توجد غالبا في نهاية المقاطع السردية، وتشير صراحة إلى ما سيحدث في الصفحات الموالية، كقول السّارد: (ماذا يمكن أن تصنع منك كلية جزائرية اليوم؟ لا شيئا، سوى شهادة لن تتعب تماما في الحصول عليها لأنّك لن تجد ما تفعله بها أساسا كما يقول الناس هنا !)[42]

ومن الاستفهامات الواردة أيضا (يا عمي العربي من كنت حقّا؟)[43] ، فكان جواب السّارد في الصفحة(13) بتقديم تعريف عن شخصية العربي.

وكذلك سؤال السّارد عن حقيقة ذاته(من أنا حقا ؟)[44] وهو ما ورد في خاتمة الصفحة، معبر عنه بثلاث نجمات(***) و علامة ذلك انقطاع الحدث الزماني، وتلاه الجواب عنه في الصفحة الموالية بتعريف السّارد بشخصيته و الأحداث التي عاشها.

3. 3. 2. الاستباق التمهيدي:

يتمثل هذا النوع في "أحداث أو إشارات أو إيحاءات أولية يكشف عنها الرّاوي ليمهد لحدث سيأتي لاحقا"[45].فهو مثل الاسترجاع الإعلاني من حيث تعلقه بالشخصية التي هي تحت مجهر السرد، والرّاوي يحكي أفكارها، ويختلف عنه من حيث الزمن فالأول (الاسترجاع) يتجه نحو الماضي بينما يتجه الثاني نحو المستقبل. وهذا ما نلمسه عندما نقرأ المقطع الذي يتحدث في السارد عن "النذير" وهو داخل للحي الذي يسكن فيه لزيارة أمه. (كنت أمشي أمام النذير وأنا أعي بحاستي" السابعة" أن دخولنا لن يكون عاديا وأنّ الجميع سيعرف بعد ساعة أن النذير مدير جريدة "مدى الجزائر" جاء لزيارة أمه !).[46]

من ذلك ما توقعه النذير عن موته و عدم رغبته في ترك أرملة ويتيم من بعده (هو الذي قال إنّ الزواج لا يليق لمثله لأنّه لا يستطيع أن يحلم بامرأة يتركها أرملة، وأطفال يخلفهم يتامى) .[47]

ونجد تمهيدا آخر في قول السارد(كنت أعي جيدا أنّ الرسائل التي تصله هي نفسها التي ستصلني في اليوم التالي من موته) .[48] يريد به الإشارة إلى مصير النذير وهو الموت وهو ما تحقق فعلا في الصفحة(142)، أمّا توقع السارد نفسه أنّه سيلتحق بصديقه ميّتا فلم يتحقق ذلك، رغم تمهيده للقارئ بذلك.

ومن أمثلة الاستباق التمهيدي(وأخذ زميلته على انفراد ليتكلم معها قليلا.قبل أن يلتفت نحونا ويقول بصوت توقعت حياديته.قال إنّ المصاب في حالة حرجة فعلا، والساعات القادمة ستكون حرجة فعلا).[49]

توقع السارد الكلام الذي سيقوله الطبيب للطبيبة أخت النذير، وما أفصح به الطبيب بحالة المصاب النذير الحرجة كانت ممهّدا لموت" النذير" بالمستشفى.

(ودّع أمه وخطيبته، ولبس بذلته الرسمية الزرقاء وخرج.كانوا يعلمون بحاستهم السابعة أنّه لن يعود).[50]

(لقد عرف الرشيد منذ البداية ما ينتظره، إنه ضابط شرطة يعرف أنّه يعيش على كفّ عفريت في هذه الظروف يا بني، لو خاف لترك عمله ولغادر البلاد وكما فعل الآلاف غيره..).[51]

توديع الرشيد لأمّه ولخطيبته ولباسه الرسمي كان تمهيدا لمشروع قتيل و أنّ كلّ من هو شرطي يعرف نهايته، فمجرد أنّك شرطي فذلك ممهد للقارئ وإدراك منه لمصير أعوان الشرطة ولعلّ شخصية "الرشيد" من الشخصيات التي توقعنا موتها في الرواية.

3. 3. 3. الاستباق الموضوعي:

هو عودة الكاتب إلى أحداث مستقبلية موضوعية لم تقع بعد، بحيث يتصل الاستشراف الموضوعي بالسّارد حين يرى أنّه من المفيد أن يعلم القارئ "مسبقا بمآل السرد، حتى يخلق في

نفسه شوقا لمعرفة الأحداث التي ستقود إليه."[52] وهو نوع مرتبط بآمال وأحلام السّارد وتطلعات الشخصيات المستقبلية وخير مثال على ذلك:"مليون جزائري هربوا من البلاد.. قالها كأنّه يقنع نفسه بشكل غير مباشر أنّه يناضل في الداخل لأجل هؤلاء جميعا.. لأجل أن يعودوا ذات يوم إلى وطن سيعرف كيف يحميهم، وكيف يدافع عن كرامتهم.. وطن لا يشجعهم على البقاء في الخارج، وعلى قطع كل أوراق الرجوع إليه ولا حتى في التوابيت !"[53]

4. نسق المدة الزمنية:

إنّ النّسق الزمني للسرد يرتكز على وتيرتين هما " الوتيرة السريعة أو البطيئة، التي يتخذها في مباشرة الأحداث وذلك عبر مظهريْها الأساسين: تسريع السرد الذي يشمل تقنيتي الخلاصة والحذف، ثم تعطيل أو إبطاء السرد، ويشمل تقنيتي المشهد والوقفة، حيث مقطع طويل من الخطاب يقابل فترة قصصية ضئيلة".[54]

لذلك نجد الكاتبة "ياسمينة صالح" لجأت إلى إتباع تقنيات سردية يتحدد من خلالها إيقاع الزمن في الرواية، بحيث أنّ الزمن الروائي مرتبط بالحدث بشكل كبير، و لتتبع حركة الزمن في الرواية، ينبغي علينا أن نتتبع حركات الحدث وسكناته ، وبذلك تتحدّد تلك الأنواع التي تحكم النّسق الزمني السردي في الرواية بين تبطيء للزمن أو تسريعه أو مطابقته، فإذا ما أردنا تسريع الزمن نستخدم تقنيتي: الخلاصة و الحذف.

4. 1. الخلاصة:(Sommaire)

يُعنى بـ "الخلاصة هو اختزالٌ أو اختصارٌ في سرد أحداث ووقائع يُفترض أنّها حدثت في سنوات أو أشهر أو أيام ... فتختصر أو تختزل في كلمات أو أسطر قليلة دون تعرض لذكر التفاصيل".[55] فهي أحد التقنيات التي تستخدم لتقليص حجم الأحداث وضغطها وتلخيصها، حيث يعبّر الراوي عن الأحداث الكثيرة والممتدة عبر أيام أو شهور أو سنوات، بعبارات موجزة ومختصرة تتلخص من خلالها تلك الأحداث.

و لها وظائف عديدة منها الربط بين أجزاء السرد لكي لا يبدو مفكّكًا، فهي تحافظ على اتصال مشاهد السرد وأحداثه، و ملء الفراغات السّردية التي لا تستأهل التفصيل، بالإضافة إلى التعرّف على بعض الشخصيات، أو تفسير بعض المواقف أو الحالات النفسية والاجتماعية ... أو الإشارة إلى بعض الأحداث الماضية التي لها علاقة بالسرد الحاضر ... أو غير ذلك.

ومن أمثلة ذلك في رواية "وطن من زجاج" قول السارد عند موت "الرشيد": (-أجل يا صديقي، مات الرشيد دفناه أمس مع زميلين له، مات مبتسما، كمن يتحرر أخيرا من كذبة الوطن والناس... !)[56] والاختصار في الحقيقة هو ألْيَق بالشخصيات الثانوية، إذ لا أهمية كبيرة لها في الرواية، بل دورها ثانوي لا يستدعي كثرة التفاصيل.

4. 2. الحذف:(L'ellipse)

هو "تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء إليها، ويُكتفى بالقول مثلا: "ومرت سنتان " أو "وانقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته"... ويتضح من هذين المثالين بالذات أنّ القطع إمّا أن يكون محدّدًا أو غير محدّد "[57]. وتكمن أهمية الحذف في تسريع الزمن، وإلغاء الأحداث والتفاصيل التي لا أهمية لها في الرواية، بالإضافة إلى ربط حلقات سلسلة السرد بعضها ببعض، فالرّاوي يضطر إلى استخدام الحذف للقفز فوق الأحداث الملغاة، للوصول إلى الحدث الذي يريده. وميّز "جيرار جنيت" بين الحذف الصريح والحذف الضمني، فالصريح هو الذي يكون مصحوبًا بإشارة زمنية (ساعة ،يوم،شهر،سنة...)، والضمني هو الذي يُدرك ضمنًا أي "يدركه القارئ فقط بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي نفسه "[58].

والفرق الجوهري بين الخلاصة والحذف هو أنّ الخلاصة تُذكر فيها الأحداث إجمالاً دون ذكرٍ للتفاصيل، أمّا الحذف فلا تذكر فيها الأحداث رأسًا، بل يُكتفى بذكر المدة الزمنية فقط، ولعل السبب يعود إلى درجة أهمية الأحداث أو درجة اهتمام الراوي بالأحداث، فكلما ازدادت أهمية الحدث، تعرض له الراوي بقدر أكبر من التفصيل، وكلما تضاءلت أهميته تضاءل - في المقابل - الحديث عنه..

وهذه بعض الأمثلة عن استعمال الكاتبة "ياسمينة صالح" لتقنية الحذف في رواية "وطن من زجاج":

قال السّارد: (في نصف ساعة عرفت منه ما توقعت معرفته.)[59]. فقد ذكر "في نصف ساعة" وهو يجلس مع صديق الطفولة "الصحفي النذير" دون أن يذكر ماذا عرف منه بل كانت مجرد توقعات وتخيّلات من السّارد. وأحيانا يرغم السّارد على تبطئة الحكي في تقديمه للأحداث، فنجده"..يتمهل في تقديم الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية قصيرة ضمن حيّز نصّي واسع من مساحة الحكي، معتمدا على تقنيتين، تمكننا من جعل الزمن يتمدد على مساحة الحكي، هما: المشهد والوقفة".[60]

4. 3. الوقفة: (Pause)

هي التوّقف عن عملية السرد، ومنه توقّفُ حركة الزمن في الحكي، وذلك من خلال اللجوء إلى تقنية الوصف، لأنّ الوصف يقوم على تشخيص الأشياء وتمثيلها، لا على الحدث والحركة، وبهذا يتجرّد الوصف من عنصر الزمن تمامًا.

ولكن ليس كلّ وصف يقتضي بالضرورة أن يتوقف الزمن، كما قرّر "جيرار جنيت"، إذ حين يتحول البطل إلى سارد في موقف تأملي لمشهد ما، لا تتوقف سيرورة الزمن في هذه الحالة " ولهذا فإنّ المقطع الوصفي لا يفلت أبدًا من زمنية القصة "[61].

إنّ توقف الزمن عن طريق الوصف يعود إلى طبيعة الوصف نفسه، إذ يُميّز " جنيت " في هذا الصدد بين السرد والوصف، بكون الأول تشخيصًا لأعمال أو أحداث، وفيه يجري الزمن مع سيرورة الأحداث، وكون الثاني تشخيصًا لأشياء أو لأشخاص، وهذا يعني توقف الزمن وانقطاعه[62]. وينبّه "جنيت" إلى حقيقة أخرى مهمة بعد ذكره لذلك التمييز، وهي أنّه من السهل أن تأتي بوصف خالص، ولكن ليس من السهل أن تأتي بسرد خالص دون وصف، ويقدم مثالين على ذلك:

1- المنزل أبيض بسقف من ألواح "الأردواز" وبمصراعين خضراوين.

2-تقدّم الرجل إلى الطاولة وأخذ السكين.

فيرى أنّ المثال الأول يمكن اعتباره وصفًا خالصًا خاليًا من الحركة والزمن، أمّا المثال الثاني فهو سرد لاحتوائه على الحركة (تقدّم -أخذ)، ولكنّه لا يخلو من الوصف لاحتوائه على أسماء تأخذ طابع الوصف (الرجل - الطاولة - السكين) وإذ تشير – على الأقل – إلى أنّ البيت فيه طاولة وسكين مثلاً، وهذا يعتبر وصفًا للبيت، ثم يقول "جنيت" مبيّنًا هذه الحقيقة : " إنّ الأشياء يمكنها أن توجد بدون حركة، ولكن الحركة لا توجد بدون أشياء "[63].

وبعدُ، فإنّنا نستطيع القول إنّ رواية "وطن من زجاج" كانت مشبعة بالوصف، كأنّه من أهمّ المحطات التي يعتمدها السارد في الحركة السردية ليمرر من خلالها رسائله و أفكاره بتخيله وتمنياته وتوقعاته وتأملاته، بطريقة فنية رائعة لا يشعر القارئ من خلالها بفراغ في تسلسل الأحداث أو انقطاعها.

يبدأ الوصف (لشدّ ما تمنيت وقتها لو أستطيع البكاء. تمنيت لو أستطيع أن أمدّ ذراعي إلى محدثي لأوقفه عن الكلام أو لأبكي قبالته.. لأبكي أمامه بلا خجل من "عيب" البكاء...لكنني عجزت عن الحركة. ...حب بسيط وصادق ومدني).[64]

ومن الشخصيات التي اهتم السّارد بوصفها وصفا دقيقا شخصية "العربي" و ذلك حينما سرد علينا قصة العميل وهو يباغت "العربي" بإطلاق الرصاص عليه، فيسقط جريحا و (ظلّ منهارا ينزف دما ممسكا بمسدس لم يعد يصلح لشيء.. ثم غاب عن الوعي. .....)

وكثير من الشخصيات قام السارد بوصفها كشخصية "المعلم" وشخصية "النذير" و شخصية "المهدي" و "النبيل" وشخصية الطبيبة أخت النذير و شخصية "كريمو" فأعطى لها حيّزا من روايته حتى يعرّفنا بها كمعطيات حقيقية ومن الناحية الفنية تزيد الرواية حبكة وتشويقا.

4. 3. المشهد: (Scène)

يتمثل في تقنية المقطع الحواري، وفيه يتساوى زمن القصة مع زمن الخطاب، لأنّ الرّاوي في المشهد الحواري ينقل أقوال الشخصيات كما هي دون نقص أو زيادة أو تحريف، وبذلك يتطابق في الحوار زمنَيْ القصة والخطاب، ولكن "جنيت" يناقش هذه القضية، أي قضية تساوي زمن القصة

وزمن الخطاب في الحوار، وينبه إلى أمر لا بدّ من مراعاته، وهو أنّ الحوار في الواقع قد تتخلّله لحظات صمت أو تفكير أو تكرار ... ونحو ذلك ممّا لا يسجله الحوار في الرواية، فيتعذر بذلك تطابق زمن الحوار في القصة مع زمن الحوار في الرواية، "وعلى العموم فإنّ المشهد في السّرد هو أقرب المقاطع الروائية إلى التطابق مع الحوار في القصة، بحيث يصعب علينا دائمًا أن نصفه بأنّه بطيء أو سريع أو متوقف "[65].

5. الذات الروائية:

الشخصية الروائية مهما كانت تخيلية فإننا نجد لها معادلا في الواقع المعيش لكون الكاتبة اعتمدت في سرد أحداث روايتها انطلاقا من خلفيات مخزنة في اللاوعي وأسقطتها على شخصياتها الورقية باستعمال الرمز و التلميح والايحاء كتقنية فنيّة تساعد على انفتاح النص الروائي أمام المتلقي، وهي بذلك لا تحيل إلا على نفسها، جاعلة من اللغة الشعرية وسيلة للتعبير عن مرادها عن طريق السارد الذي منحته الوظيفة العاطفية أو الانفعالية ، باستعمال ضمير المتكلم " أنا" بصوت ذكوري، والتوغل في أعماق الذات الروائية من خلال البنى السردية التي تكوّن النص الروائي.

ونجد لها إهداء واضحا، تصرّح فيه الكاتبة" ياسمينة صالح" عن حقيقة مشاعرها اتجاه وطنها، وتمسكها به وانتمائها له رغم كل شيئ ونعيش فيه برغم كلّ شيئ..

6. مناقشة النتائج :

في ختام دراستنا لرواية "وطن من زجاج" للكاتبة ياسمينة صالح، نستنتج أنّها واكبت تحولات الواقع الوطني الجزائري في محنته الوطنية، والتزمت بطرح قضاياه وإشكالاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وقد ألقت هذه التحوّلات بظلالها على العناصر المكونة للخطاب الروائي، ومن أهمها البنية الزمنية السردية للرواية وذلك بشكل فنّي متميز، مُفْعم بحيوية الزّمن وتشابكه، وهي تحمل في ثناياها أبعادا ودلالات يّتكئ عليها الخطاب صراحة أو ضمنا على مستوى تقديم القصة، والتي نلخصها على الشكل التالي:

- تميّزت الرواية بأنها استرجاعية بامتياز، بالعودة للزمن الماضي، من خلال استرجاع الشخصيات المحورية للماضي البعيد كاسترجاع زمن الطفولة، أو الزمن التاريخي (الثورة المسلحة)، أو استرجاع الماضي القريب كاسترجاع أحداث مرحلة التسعينيات، التي تمثل نقطة تحول حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث، وتهدف الاسترجاعات المذكورة إلى الكشف عن عمق التحول في حياة الشخصيات، وترمي أيضا إلى إبراز حجم التغير الناجم عن حركة المجتمع، بحيث تلتبس في هذه الاسترجاعات السردية سيرة الذات بسيرة الوطن، ويتحول كل منهما مرآة للآخر.

- وصفت الكاتبة الصراعات بين حب الوطن وكره ما يحدث فيه عبر مراحل زمنية مختلفة، بلغة إيحائية دلالية.

-تقديم البنية الزمنية بشكل معقد ومتداخل لأنّ زمن القصة حافل بأحداث والزمن الخارجي المليئ بالمتناقضات ينعكس على الزمن الداخلي للرواية ولعلّ هذا ما يفسر الاسترجاعات الكثيرة مع توظيف تقنيات زمنية مختلفة تضفي على الخطاب السردي جمالية خاصة.

- هيمنة المفارقات الزمنية وتنوّعها من الاستراجاعات و الاستباقات مع توظيف نسق الديمومة بتسريع الحكي وتبطيئه .قصد سد الثغرات، كما أن الوعي الفني عند سرد الأحداث يفرض على الكاتبة أن تتغاضى عن بعض الأحداث فلا تذكرها في أوقات وقوعها، دون أن تتجاهلها نهائيا، بل تفضل العودة إليها بما يتلاءم وسرد الأحداث حتى تخرق أفق التوقع عند القارئ وتزيد في إثارته و تشويقه .

- غلبة السّرد البطيء، بسبب الاعتماد على تقنيتي المشهد والوقفة، فالكاتبة منحت للشخصيات حرية الحوار وحرية الوقفات التأملية والوصفية.

7. الخاتمة :

ومن خلال ما تقدم نرى أن الكاتبة "ياسمينة صالح" عملت على كسر الخطية الزمنية المتتابعة للزمن باستعمال محور نسق الترتيب الزمني، المتمثل في تقنيتي الاسترجاع والاستباق، بأنواعهما، وأنّ الزمن في الخطاب السردي قد احتوى المكان والشخصيات والحدث، إضافة إلى استعمال محور نسق المدة الزمنية بمظهريهما المتمثلين في تسريع و تبطيئ السرد، مما أضفى قيمة جمالية وفنية متماسكة ومترابطة النسج على مستوى المتن الحكائي، باختلاف التقنيات وتنوعها، من الخلاصة والحذف والمشهد الحواري و والوقفة التأملية الواصفة. حتى يتمكن القارئ من تتبع أحداث الرواية بكل شغف و اهتمام كبيرين، ما يحدث في الجزائر إبان فترة التسعينات، التي عرف فيها وطننا الحبيب مأساة دموية، فاستطاعت الكاتبة أن تمازج بين الواقع الحقيقي و العنصر التخييلي في خضم زمن مفعم بالأحداث والحيوية. ومصوّرة أهمّ الجوانب النفسية التي تعبر عن حالة اليتم والاغتراب النفسي والهجرة والمنفى والقهر والحب والكره وقتل الحلم والانكسار والموت والعزلة السيكولوجية وأزمة الهوية الوطنية والصراع النفسي والمحسوبية والبيروقراطية والخوف من المستقبل.

- المصادر والمراجع:

[1]- صبحي الطعان، بنية النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 23، 1994، ص 445.

[2] - جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، ط2،1997، ص47.

[3]- رولان بارت وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1،1992، ص 55.

[4] - حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1991، ص73.

[5] - ياسمينة صالح، الرواية "وطن من زجاج"، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1،2006، ص7.

[6] - المصدر نفسه، ص10.

[7] - المصدر نفسه، ص23.

[8] - المصدر نفسه، ص28.

[9] - المصدر نفسه، ص47.

[10] - المصدر نفسه، ص46.

[11] - المصدر نفسه، ص49.

[12] - المصدر نفسه، ص50.

[13] - المصدر نفسه، ص58.

[14] - المصدر السابق، ص69.

[15]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[16]- المصدر نفسه، ص71.

[17]- المصدر نفسه، ص72.

[18]- المصدر نفسه، ص73.

[19]- المصدر نفسه، ص82.

[20]- حميد لحمداني، مرجع سابق، ص 74.

[21]- المرجع نفسه، ص 75.

[22]- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2009، ص 104.

[23]- أ.أ.مندولا، الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1997، ص 157.

[24]- إبراهيم خليل، مرجع سابق، ص 55.

[25] - ينظر: وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، ط1،1985، ص96.

[26]- الرواية، ص28.

[27] - الرواية، ص13.

[28]- إبراهيم خليل، مرجع سابق، ص55.

[29]- الرواية، ص25، 26.

[30]- المصدر نفسه، ص69، 70 .

[31]- المصدر نفسه، ص 71.
[32]- المصدر نفسه، ص72.
[33]- المصدر نفسه، ص74.
[34]- المصدر السابق، ص129، 130.
[35]- المصدر نفسه، ص133.
[36]- المصدر نفسه، ص 134.
[37]- أ.أ. مندولا، مرجع سابق، ص 39.
[38]- تزفيتان تودوروف، الأدب والدلالة، تر: محمد نديم خشفة، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1996،ص48.
[39]-جيرار جنيت، خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص 76.
[40]- الرواية، ص 175.
[41]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،" الفضاء،الزمن،الشخصية"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990،ص137.
[42]-الرواية، ص 47.
[43]-المصدر نفسه، ص12
[44]- المصدر نفسه، ص28.
[45]- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،2004، ص213.
[46]- الرواية، ص 92.
[47]- المصدر السابق، ص 107.
[48]- المصدر نفسه، ص 90.
[49]- المصدر نفسه، ص 107.
[50]- المصدر نفسه، ص 07.
[51]- المصدر نفسه، ص 24.
[52]- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الدار التونسية للنشر، ط1، 1985، ص82.
[53]-الرواية، ص 93.
[54]-حسن بحراوي، مرجع سابق، ص144.
[55]-حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 76.
[56]- الرواية، ص 7.
[57]- حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 77.
[58]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[59]-الرواية، ص62.

[60]- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص309.

[61]- حميد لحميداني، مرجع سابق، ص77.

[62]- المرجع نفسه، ص 78.

[63]- المرجع نفسه، ص 79.

[64]- الرواية، ص7، 8.

[65]- حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 78.

- قائمة المصادر والمراجع:

[1]- صبحي الطعان، بنية النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 23، 1994.

[2] - جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2،1997.

[3]- رولان بارت وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1،1992.

[4]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1991.

5- ياسمينة صالح، الرواية "وطن من زجاج"، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1،2006.

[6]- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2009.

[7]- أ.أ.مندولا، الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1997.

[8]- وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، ط1،1985.

[9]- تزفيتان تودوروف، الأدب والدلالة، تر: محمد نديم خشفة، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1996.

[10]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،" الفضاء،الزمن،الشخصية"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990.

[11]- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،2004.

[12]- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الدار التونسية للنشر، ط1، 1985.

[13]- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.